

هو العليم

أنوار الملكوت

نور ملكوت الصيام – الصلاة – المسجد –

القرآن – الدعاء

(مواظب شهر رمضان المبارك من عام ١٣٩٠)

نور ملكوت القرآن:

المجلس السابع

من مصنفات العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

قدس الله نفسه الزكية

سلسلة مباحث أنوار الملكوت

نور ملكوت القرآن

المجلس السابع:

تفسير الصراط المستقيم

**وتأويله بأمر المؤمنين
عليه السلام**

- الشواهد التي تدلّ على أنّ للقرآن ظاهر وباطن ٥
- بعض الآيات الشريفة التي تحتاج إلى تأويل ١٢
- ما هو معنى تفسير "الميزان" وتأويله بأمر المؤمنين عليه السلام؟ ٢١
- كيف يمكن تأويل الصراط المستقيم بأمر المؤمنين عليه السلام؟ ٤١
- الصراط في يوم القيامة هو ظهور للطريق الذي سلكه الإنسان ٤٣
- جهنّم هي ظهور الدنيا وتجلّ لها ٤٦
- أبيات من القصيدة الأزرية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ٤٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَالصَّلَاةِ عَلٰی مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِیْنَ
وَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلٰی اَعْدَائِهِمْ اَجْمَعِیْنَ
مِنَ الْاَنِّ اِلٰی قِیَامِ یَوْمِ الدِّیْنِ

الشواهد التي تدلّ على أنّ للقرآن ظاهر وباطن

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ *
إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ *
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١).

إنّ ظاهر معنى هذه الآية المباركة هو: "أقسم بمواضع
ومواقع النجوم! وإنه - لو تعلمون - لقسم عظيم! إنّه لقرآن

(١) سورة الواقعة (٥٦)، الآيات ٧٥ إلى ٨٠.

شريف وعظيم، ومحفوظ ومستتر في كتاب لا يستطيع أي أحد أن يمسه أبداً إلا المطهرون، وقد نزله رب العالمين".
يُستفاد من هذه الآية أن القرآن يمتلك حقيقةً رفيعةً جداً محفوظة في عالم آخر لا يصل إليها إلا أصحاب الطهارة الواقعية وحسب، وأن هذا القرآن الذي في أيدي الناس عبارة عن مرتبة الدنيا المنزلة من قبل الله تعالى.

ويقول الحق سبحانه في سورة الزخرف: ﴿حَمِ
وَالكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي
أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(١).

"يا أيها الرسول! أقسم بالكتاب البين والمبين بأننا جعلنا القرآن عربياً وواضحاً لكي تصل أفهامكم - أيها الناس -

(١) سورة الزخرف (٤٣)، الآيات ١ إلى ٤.

إلى معانيه! غير أنّ هذا القرآن لدينا في عالم أمّ الكتاب رفيع
المنزلة ومتين، أي بسيط ومجرّد وعالٍ.

لقد وردت عدّة آيات وروايات تُفيد بأنّ للقرآن
مرتبتين: الأولى حقيقة القرآن، والأخرى ظاهر القرآن.
فظاهر القرآن هو هذا الذي يُقرأ وتُفهم منه المعاني
الظاهريّة، وكلّما زاد نصيب الإنسان من العلم والتقوى؛
وصل إلى درجة أرفع منه وأدرك معاني أعمق. وهكذا، فإنّ
ازدياد العلم والتقوى سيؤدّي إلى ازدياد الفهم والإدراك
إلى أن يصل المؤمن إلى الطهارة المطلقة (أي الفناء المطلق)،
فتفتح بصيرة قلبه ولا يعود يستشعر في نفسه أيّ شائبة من
الوجود؛ حينئذٍ سيصل إلى حقيقة القرآن الواقعيّة، ويتمكّن
من بلوغ حقيقة القرآن في عالم أمّ الكتاب، هناك حيث منبع

هذه الآيات ومصدر نزولها، وهناك أيضاً يتواجد القرآن
العليّ والعظيم والحكيم.

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ [بن أبي طالب صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا]:
«إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْعِبَارَةِ،
وَالْإِشَارَةِ، وَاللَّطَائِفِ، وَالْحَقَائِقِ. فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ، وَالْإِشَارَةُ
لِلْخَوَاصِّ، وَاللَّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ»
(والمهتدين إلى مقام الوحي والإلهام).^(١)

وفي كتاب "الكافي" الشريف، يروي محمد بن يعقوب
الكليني بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ عِنْدَهُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ ظَاهِرِهِ
وَبَاطِنِهِ غَيْرِ الْأَوْصِيَاءِ» (أمير المؤمنين وأبناؤه الأحد عشر-

(١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠، نقلاً عن جامع الأخبار.

الذين تحمّلوا أعباء مقام الوصاية وكانوا هم الحفاظ
والصائنين للقرآن).^(١)

وقد وردت في نفس هذا الكتاب رواية عن الإمام
الصادق عليه السلام حول تفسير الآية المباركة: ﴿بَلْ هُوَ
آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٢) يقول فيها: «هم
الأئمة». ^(٣)

وجاء فيه أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:
«نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ!»^(٤)
وجاء فيه أنه عليه السلام قال:

(١) في المقدمة الثانية من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٠؛ نقلاً عن الكافي، ج ١، ص ٢٢٨.
(٢) سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٤٩.
(٣) في المقدمة الثانية من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٠ نقلاً عن الكافي، ج ١، ص ٢١٤.
(٤) في المقدمة الثانية من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢١ نقلاً عن الكافي، ج ١، ص ٢١٣.

«إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ وَلَايَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ قُطْبَ الْقُرْآنِ وَقُطْبَ جَمِيعِ
الْكِتَابِ، عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَبِهَا نَوَّهَتْ [يُوهَبُ]
الْكِتَابُ وَيَسْتَبِينُ الْإِيْمَانُ؛ وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُقْتَدَى بِالْقُرْآنِ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،
وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ لَهُ خَطَبَهَا: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ
الثَّقَلَيْنِ: الثَّقَلَ الْأَكْبَرَ وَالثَّقَلَ الْأَصْغَرَ؛ فَأَمَّا الْأَكْبَرُ فَكِتَابُ
اللَّهِ [رَبِّي]، وَأَمَّا الْأَصْغَرُ فَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي! فَاحْفَظُونِي
فِيهَا فَلَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهَا!»^(١)

والسبب في ذلك هو أن الأئمة الأطهار يمتلكون العلم
بحقائق القرآن، حيث وجدت نفوسهم الشريفة طريقها إلى
عوالم التوحيد والصفات والأسماء والملائكة وأدركت كيفية

(١) في المقدمة الثانية من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢١.

تنزل الملائكة وتقديرها وتدبيرها للعوالم، فصارت متحققة
بهذه المعاني؛ ولهذا فهم يُمثلون حقيقة القرآن كما يروي
الشيخ الطوسي في كتابه الأُمالي عن أمّ سلمة:

قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَهُوَ]
يَقُولُ: «إِنَّ عَلِيًّا مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ!»^(١)

(١) الأُمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٠٦؛ سفينة البحار، ج ٢، ص ٤١٤. وفي هامش كتاب شيعه
در اسلام (الشيعه في الإسلام)، العلامة الطباطبائي، ص ٥ يقول مؤلفه بعد نقله لهذا الحديث: ونُقل
هذا الحديث، عن ١٥ طريقاً من العامة و ١١ طريقاً من الخاصة. ورواه أمّ سلمة، وابن عباس، وأبو
بكر، وعائشة، وعليّ عليه السلام، وأبو سعيد الخدري، وأبو ليلي، وأبو أيوب الأنصاري. غايه المرام،
البحراني، ص ٥٣٩ و ٥٤٠.

بعض الآيات الشريفة التي تحتاج إلى تأويل

وبناءً عليه، سيّضح - أولاً - معنى الأخبار التي تُشير إلى أن القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم وفي الفرائض والسنن، كما ورد في "الكافي" بإسناده عن الأصبع بن نباتة:

قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ
أَثَلَاثًا: ثُلُثٌ فِينَا وَفِي عَدُوِّنَا، وَثُلُثٌ سُنَنٌ وَأَمْثَالٌ، وَثُلُثٌ
فَرَائِضٌ وَأَحْكَامٌ».^(١)

حيث أن المراد من ذلك هو تأويلات القرآن الواردة حوله عليه السلام وأهل بيته وحول أعدائه وأعداء أهل بيته والذين يُمثّلون - في الحقيقة والواقع - أعداء الحقّ

(١) في المقدمة الثالثة من تفسير الصافي، ج ١ ص ٢٤؛ نقلًا عن الكافي، ج ٢، ص ٦٢٧؛ وفي ينابيع المودة لديوي القريبي، طبعة إسلامبول ص ١٢٦؛ وطبعة دار الأسوة، ج ١، ص ٣٧٧؛ يقول: وفي المناقب عن الأصبع بن نباتة عن علي عليه السلام قال: نزل القرآن على أربعة أرباع: ربعٌ فينا وربع [في] عدونا وربعٌ سننٌ وأمثال وربعٌ فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن.

والإيمان والإسلام. ومن المحتمّ أنّ هذا المعنى لن يكون في المتناول إلاّ عن طريق التأويل والوصول إلى حقائق القرآن وإرجاع معانيه [إلى أصولها]. وتوجد في هذا المجال العديد من الروايات، كما قامت جماعة من الأصحاب بتأليف كتب في تأويل القرآن، كما صنّفوا كتباً في الأخبار الواردة عن الأئمّة عليهم السلام حول تأويل كلّ آية آية، سواءً كانت تتعلق بنفس الأئمّة أو بشيعتهم أو بأعدائهم، وذلك بحسب ترتيب السور والآيات القرآنيّة. ويقول المرحوم المحقّق الكاشاني أنّه عثر على أحد هذه الكتب، وكان يتألّف ممّا يقرب من عشرين ألف بيت.

ونحن سنذكر بعض هذه الموارد، ثمّ نتناولها بعد ذلك بالبحث والتحقيق.

جاء في كتاب "الكافي" عن مولانا الإمام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (لِلنَّاسِ فِي طَرِيقِ اللَّهِ) * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(١)، قال:

«هِيَ الْوَلَايَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ».^(٢)

وفي نفس الكتاب عن عمر بن حنظلة عن مولانا الصادق عليه السلام:

سَأَلَهُ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾^(٣) قال: فَلَمَّا رَأَى أَتَّبَعُ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ

(١) سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ١٩٣ إلى ١٩٥.

(٢) في المقدمة الثالثة من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٥ نقلاً عن الكافي، ج ١، ص ٤١٢ والعياشي.

(٣) سورة الرعد (١٣)، ذيل الآية ٤٣.

مِنَ الْكِتَابِ قَالَ: «حَسْبُكَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكِتَابِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مِثْلُ هَذَا فَهُوَ فِي الْأُمَّةِ عُنْوَابُهُ»^(١).

وتوجد في "تفسير العياشي" رواية عن محمد بن مسلم عن مولانا الإمام محمد الباقر عليه السلام مفادها:
قَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ ذَكَرَ قَوْمًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ هُمْ، وَإِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ ذَكَرَ قَوْمًا بِسُوءٍ مِمَّنْ مَضَى فَهُمْ عَدُونُنَا»^(٢).

وجاء في تفسير "مجمع البيان" عند تفسيره للآية المباركة:
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣):

(١) في المقدمة الثالثة من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٥ نقلاً عن الكافي؛ والعياشي، ج ١، ص ١٣.

(٢) في المقدمة الثالثة من تفسير الصافي، ج ١، ص ٢٥، نقلاً عن العياشي، ج ١، ص ١٣.

(٣) سورة الرعد (١٣)، الآية ٧.

عن ابن عباسٍ قال: لما نزلتِ هذه الآية قال رسولُ الله: [صلى الله عليه وآله وسلم] «أنا المنذرُ وعليُّ الهادي من بعدي؛ يا عليُّ بك يهتدي المهتدون (إلى طريق الله ويسلكون في ذلك الطريق)»^(١)

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب "شواهد التنزيل" بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن أبيه عن الحكم بن جبير عن أبي بردة الأَسلمي، قال: دعا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالطَّهْورِ وَعِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] بِيَدِ عَلِيٍّ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] بَعْدَ مَا تَطَهَّرَ فَالزَقَهَا بِصَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ!» ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى صَدْرِ

(١) مجمع البيان، ج ٦، ص ١٥.

عَلِيٍّ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ثُمَّ قَالَ: «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ!» ثُمَّ قَالَ:
«إِنَّكَ مَنَارَةُ الْأَنَامِ وَغَايَةُ [رَايَةِ] الْهُدَى وَأَمِيرُ الْقُرَى، أَشْهَدُ
عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ كَذَلِكَ!»^(١)

وحول تفسير الآية الشريفة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
توجد في «معاني الأخبار» رواية عن مولانا الصادق عليه
السَّلَام يقول فيها:

«هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ وَهُمَا صِرَاطَانِ:
صِرَاطٌ فِي الدُّنْيَا وَصِرَاطٌ فِي الْآخِرَةِ. فَأَمَّا الصِّرَاطُ الَّذِي فِي
الدُّنْيَا فَهُوَ الْإِمَامُ الْمُفْتَرَضُ [المَفْرُوضُ] الطَّاعَةَ، مَنْ عَرَفَهُ
فِي الدُّنْيَا وَاقْتَدَى بِهِدَاهُ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ الَّذِي هُوَ جِسْرٌ-

(١) نفس المصدر.

جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فِي الدُّنْيَا زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنِ
الصِّرَاطِ فِي الْآخِرَةِ، فَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(١).

وعليه، سيّضح جلياً معنى الأخبار التي تقول بأنّ المراد
من الصراط في هذه الآية هو صراط علي بن أبي طالب أو
نفسه المقدّسة أو أنّ الأئمة هم الصراط المستقيم.

وفي رواية أخرى: «نَحْنُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»^(٢). وفي
بعض الأخبار: «هُوَ صِرَاطُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(٣). وقد ورد
عن الصادق: «إِنَّ الصِّرَاطَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٤).

(١) تفسير الصافي، ج ١، ص ٨٥، في تفسير سورة الحمد.

(٢) نفس المصدر.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٣٧٢.

(٤) تفسير الصافي، ج ١، ص ٨٥، في تفسير سورة الحمد.

وجاء في "تفسير القمّي" عند تفسيره للآية المباركة:
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(١) عن مولانا الإمام الرضا
عليه السلام أنه قال:

«السَّمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَفَعَهُ اللَّهُ
إِلَيْهِ، وَالْمِيزَانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَصَبَهُ لِخَلْقِهِ». قِيلَ:
﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾، قَالَ: «لَا تَعْصُوا الْإِمَامَ!» قِيلَ:
﴿وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، قَالَ: «أَقِيمُوا الْإِمَامَ الْعَدْلَ»،
قِيلَ: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ قَالَ: «لَا تَبْخَسُوا الْإِمَامَ حَقَّهُ
وَلَا تَظْلِمُوهُ!»^(٢)

(١) سورة الرحمن (٥٥)، الآية ٧.

(٢) تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٠٧؛ نقلاً عن تفسير القمّي، ج ٢، ص ٣٤٣.

وفي تفسير الآية الشريفة: ﴿نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾^(١)، جاء عن "الكافي" و"معاني

الأخبار" عن مولانا الصادق عليه السلام:

إِنَّهُ سُئِلَ عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: «هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ»^(٢).

وفي رواية أخرى: «نَحْنُ الْمَوَازِينُ الْقِسْطُ» (التي نصبها الله تعالى يوم القيامة ليزن بها أعمال العباد؛ ولهذا فلن يتعرض أحد للظلم!)^(٣)

ونظير هذه الآيات التي فُسرَت وأُولت بالأئمة الطاهرين وأمير المؤمنين موجود بكثرة في القرآن المجيد. ولكي يتجلى لنا هذا المطلب ونفهم حقيقته بشكل جيد،

(١) سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٤٧.

(٢) تفسير الصافي، ج ٣، ص ٣٤١.

(٣) نفس المصادر.

ستتعرّض لبيان المسألتين الأخيرتين - أي الصراط المستقيم
والميزان اللذين تمّ تفسيرهما بأمر المؤمنين -، لتّضح بذلك
بقية الآيات الواردة في شأنهم أو شأن أعدائهم.

ما هو معنى تفسير لله الميزان لله وتأويله بأمر المؤمنين عليه السلام؟

المسألة الأولى: وترتبط بمعنى الميزان. ولبيان هذا الأمر،
نحتاج إلى مقدّمتين:

المقدّمة الأولى: للألفاظ الموضوعّة في اللغة معان كليّة،
فلا يختصّ معناها بفرد معيّن. فمن باب المثال، لمّا قاموا
بوضع لفظ "المصباح"، فإنّهم وضعوه لمعنى عامّ، وهو
عبارة عن ذلك الموجود النوراني الذي يُضيء تحته
الموجودات المظلمة. في ذلك الزمان، كان المصباح مقتصرًا
على فتيلة يضعونها في إناء فيه زيت، فيشعلون الفتيلة من

رأسها لينبعث منها الضوء والدخان؛ وقد كانوا يُطلقون على هذا الموجود الخاصّ بهذه الكيفيّة الخاصّة اسم المصباح. بعد ذلك شاع استعمال المصباح النفطي، حيث كانوا يسكبون النفط في وعاء مغلق ويضعون فيه فتيلة ويُغطّون الفتيلة بغطاء زجاجي ويدعونهُ أيضاً "مصباحاً" من دون أن يغيّروا في الاسم أدنى تغيير؛ كأنّ معنى المصباح الذي كان يشتعل بالزيت سابقاً، هو بعينه معنى المصباح النفطيّ ذي الغطاء الزجاجي. فلا خصوصيّة إذاً لزيت المصباح ودخان الفتيلة في معنى اسم المصباح، بل إنّ معناه هو المعنى العامّ الذي يمثّل جسماً نورانياً ومنيراً. وباعتبار أنّ هذا المعنى الكلّي لا يختلف في هذين الفردين من فئة المصباح، فقد استُعمل لفظ "المصباح" في الفرد

الثاني بنفس العناية الأولى التي استعمل بها في الفرد الأول. واستمرّ الأمر على هذا النحو حين اخترع المصباح الغازي، وتبعه اكتشاف الكهرباء والمصباح الكهربائي بأنواعه المختلفة، حيث أطلق عليها بأجمعها اسم المصباح؛ ولا يختصّ الأمر بلفظ المصباح، فقد كان لفظ المصباح مجرد مثال، بل إنّ ذلك ينسحب على جميع الألفاظ.

والأمر على هذه الشاكلة بالنسبة للفظ "الميزان" أيضاً. فالميزان هو آلة للقياس والوزن. وقد كانوا يقيسون الأجسام سابقاً بميزان ذي كفتين معلّقتين بسلاسل طويلة وفي قمّته مؤثّر (لسان الميزان) ويُسمّونه ميزاناً. ثمّ أصبحوا يُطلقون هذا الاسم بنفس العناية الأولى على الميزان الذي له كفتان من دون سلاسل وله مؤثّر في

الأسفل. بعد ذلك استُعملت موازين عموديّة ذات كفة واحدة (قَبَان)، وموازن كبيرة لوزن الأشياء الثقيلة، وموازن ذات نوابض؛ فدُعيت بأجمعها موازين بنفس العناية. ومع هذا يُلاحظ أنّ لفظ الميزان لم يوضع لوزن الأشياء الجسائيّة وثقلها، بل هو بمعنى آلة القياس. ومن البديهيّ أنّ آلة قياس كلّ شيء تختلف عن آلة قياس الأصناف والأنواع الأخرى. فجهاز قياس مقدار الكيلو واطات المستهلكة من الكهرباء يُدعى عداد كهرباء، وجهاز قياس مقدار جريان الماء يُسمّى عداداً و ميزاناً، وجهاز قياس درجة حرارة البدن يُدعى مقياساً و ميزاناً للحرارة، وكذلك بالنسبة لجهاز قياس ضغط الدّم ونبض القلب، وجهاز قياس شدّة جريان التيّار الكهربائيّ أو القوّة

المحرّكة الكهربائيّة، حيث تُسمّى بأجمعها مقياس
وموازنين. كما تُدعى كلّ آلة من آلات قياس اتجاه الرياح
والزلازل وحرارة الجوّ والضغط الجوّي ميزاناً ومقياساً.
فالميزان لفظ عامّ يُطلق على جميع هذه الأجهزة، بيد أنّ
جهاز قياس كلّ شيء يتناسب مع ذلك الشيء. فميزان الماء
يختلف عن ميزان الحرارة، كما أنّ ميزان نبض القلب يُغيّر
الميزان الذي يوزن به الحطب. فإن شئنا قياس المحبّة
وتحديد مقدار وجودها في الأشخاص بواسطة مقياس
صحيح، فما هو المقياس والميزان اللازم لذلك؟ وبأيّ شكل
وصِفَةٍ يجب أن يكون؟ ولو أردنا قياس الخضوع والخشوع
والعبوديّة والتقوى والصدق والغيرة والشهامة والإيثار
والإنفاق والجهد والشجاعة، وقياس الفناء عن الوجود

المجازي والبقاء بوجود الحقّ تعالى، وتجليّ الأسماء والصفات، ودرجة المعرفة؛ فما هو المعيار والميزان الذي ينبغي استخدامه في كلّ واحد من هذه الأمور؟ وبأيّ شكل وصفة يجب أن يكون؟ بعدما علمنا أنّ مقياس كلّ شيء ينبغي أن يتناسب مع ذلك الشيء.

المقدّمة الثانية: هي أنّه قد جاء في الآيات القرآنيّة والروايات الواردة عن الأئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنّ الله تعالى قد وضع ميزاناً لقياس الأعمال في الدنيا، كما أنّ الأعمال ستوزن في الآخرة. بيد أنّهُ لم يُشاهد في آية آية أو رواية أنّ الحسنات توضع في أحد كفتي الميزان، وأنّ السيّئات توضع في الكفّة الأخرى، بل إنّ جميع الآيات والروايات متّفقة في الدلالة على أنّ الحسنات

ذات وزن واعتبار، وأن السيئات بلا وزن ولا اعتبار، وأن الحسنات هي التي تأخذ بيد الإنسان وتُنجيه في ذلك العالم الربوبي، وأن السيئات ليست لها القابلية للمقاومة والصمود هناك. فمن زادت أعماله الحسنة ثقل ميزانه، ومن قلت أعماله الحسنة خف ميزانه. يُضاف إلى ذلك أن السيئات تُسبب خفة الميزان: ﴿وَالْوِزْنَ يُومِئِدِ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾^(١).

وتوجد رواية في "التوحيد" للمرحوم الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها:

(١) سورة الأعراف (٧)، الآيتان ٨ و ٩.

«إِنَّمَا يَعْنِي الْحِسَابَ؛ تَوْزَنُ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ،
وَالْحَسَنَاتُ ثِقَلُ الْمِيزَانِ وَالسَّيِّئَاتُ خِفَّةُ الْمِيزَانِ»^(١).

كما رُوي في "الاحتجاج" عن مولانا الصادق عليه
السَّلام:

أَنَّهُ سُئِلَ أَوْ لَيْسَ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ؟ قَالَ: «لَا! لِأَنَّ الْأَعْمَالَ
لَيْسَ أَجْسَامًا وَإِنَّمَا هِيَ صِفَةٌ مَا عَمِلُوا، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى وَزَنِ
الشَّيْءِ مَنْ جَهَلَ عَدَدَ الْأَشْيَاءِ وَلَا يَعْرِفُ ثِقَلَهَا وَخِفَّتَهَا وَإِنَّ
اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ». قِيلَ: فَمَا مَعْنَى الْمِيزَانِ؟ قَالَ:
«الْعَدْلُ». قِيلَ: فَمَا مَعْنَاهُ فِي كِتَابِهِ: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ؟ قَالَ:
«فَمَنْ رَجَحَ عَمَلَهُ»^(٢).

(١) تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٨١.

(٢) نفس المصادر.

ومن هنا نستفيد بشكل واضح أنّ فعل الخير يصعد عند الله ويُعطي قيمة لروح الإنسان، وأمّا فعل الشرّ، فلا يتجه نحو الله، بل يجرّ الإنسان في الجهة المعاكسة إلى عالم البُعد والهجران. فالله هو الحقّ، وكلّ ما عند الله حقّ، وفي المقابل، فإنّ كلّ ما ليس عند الله هباءً وباطل وضائع وفساد.

وقد ورد في القرآن المجيد: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١)، ويقول الحقّ تعالى أيضاً في سورة المجادلة (٥٨)، الآية ١١: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، حيث نلاحظ في هاتين الآيتين التعرّض لمسألة صعود ورفع الأعمال. وعلى العكس من

(١) سورة فاطر (٣٥)، الآية ١٠.

ذلك، فإنه لم يُعبر عن البُعد أو العمل السيء بالصعود، بل
عبر عنه بالهبوط والتسافل والضياع: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ
سَافِلِينَ﴾^(١)، ويقول في سورة الرعد (١٣)، الآية ١٧:
﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي
الْأَرْضِ﴾.

وفيما يخص أولئك الذين لا يؤمنون بالله ويوم القيامة،
يقول الحق تعالى: إنهم من الأساس لا يمتلكون أي عمل
قيم. وعليه، بما أن حسناتهم صفر، وسيئاتهم بدورها لا
تخضع للقياس (لأنها هباء وباطل وعدم)، فلن يُوضع لهم
يوم القيامة أي ميزان أبداً: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم

(١) سورة التين (٩٥)، الآية ٥.

يُحْسِنُونَ صُنْعًا* أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
أَعْمَاهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١﴾. ويقول الحق تعالى في
مقام بيان عدله: أنه لو قام أحد بعملٍ حسن بمقدار حبة
من خردل، فإنه تعالى سيحضره، ولن يُظلم ذلك الشخص
ولو بهذا المقدار: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٢﴾.

فمن الواضح أن المراد من حبة الخردل هي الحسنات لا
السيئات؛ إذ أن الله تعالى في مقام بيان نفي ظلم كل ذي
نفس، وإلحاق الظلم بصاحب النفس يكون عند عدم
احتساب حسناته، وأما لو لم يتم احتساب سيئاته، فإن ذلك

(١) سورة الكهف (١٨)، الآيات ١٠٣ إلى ١٠٥.

(٢) سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٤٧.

يُعدّ لطفاً وإرفاقاً به لا ظملاً له. كما يتضح جلياً من هذه الآية أنّ الحسنات تقبل الإحضار والخضوع للمحاسبة والوضع في موازين القسط.

وعلى كلّ حال وبعد استعراضنا لهاتين المقدمتين، نقول:
إنّ المراد من ميزان عمل كلّ أمة هو عمل نبيّها أو وصيّ نبيّها؛ إذ أنّ الله تعالى أرسل نبيّه ووصيّ نبيّه لدعوة الناس في سبيل الارتقاء بهم إلى مستوى عقائدهم وأفكارهم، وبالتالي فإنّ كلّ من كان عمله أقرب إلى عمل نبيّه كان في الآخرة أدنى منه مقاماً، وكلّ من كانت حسناته أقلّ سيكون أبعد.

وقد نُقل في "الكافي" و"معاني الأخبار" عن مولانا الصادق عليه السلام:

أَنَّهُ سُئِلَ عَن قَوْلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قَالَ: «هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ»^(١).

وبهذا، سيّضح جلياً بأنّ معاني تلك الأخبار التي
مفادها أنّ عليّ بن أبي طالب ميزان العمل - حيث نقرأ في
زيارته عليه السلام: السَّلَامُ عَلَى مِيزَانِ الْأَعْمَالِ -، هي أنّ
الأعمال السيئة تُفْضَى - إلى البُعد والهجران، وأنّ الأعمال
الحسنة هي التي ينبغي تقديرها؛ وفي هذه الحالة، فإنّهم
سيقيسون أعمال الأمة من خلال أعمال مولانا أمير المؤمنين
عليه السلام. فمثلاً في مجال العبادة، فإنّهم سيضعون
عباداته عليه السلام ويسيّسون بها عبادة كلّ شخص؛ فكلّما

(١) تفسير الصّافي، ج ٣، ص ٣٤١.

اقتربت تلك العبادة - من حيث الخلوص - من عبادته عليه السلام، كلما كان مقام ذلك الشخص أقرب من مقامه عليه السلام، وكلما كانت أبعد كان أبعد. وأيضاً في مجال الصلاة، يضعون صلاة الإمام وقيسون بها صلاة كل شخص؛ والمقصود منها تلك الصلوات التي كانت تُشاهد منه عليه السلام، حيث كانت روحه تُخلق عالياً أثناءها، ويقع مغمىً عليه بين أشجار النخيل، وينزعون السهم من رجليه، وينمحي فجأة في الأنوار الإلهية.

وكذلك الأمر في مقام العدل والإنصاف، حيث يجعلون عدل الإمام معياراً وميزاناً، وكيف أنه مع تسلطه على الممالك الإسلامية وتكديس أقرانه نظير عبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن بن أبي بكر ومعاوية وعمرو بن العاص

لجبال من الثروات بحيث أنه عند موت البعض منهم مرّت
أيام عديدة وهم يُكسّرون سبائك الذهب بالفؤوس
والمعاول من أجل توزيع التركة، فإننا نراه عليه السلام
وبسبب صاع من البر^(١) يُعطيهِ لأخيه عقيل - مع أنه يعلم
بأنه وأطفاله جوعى ويعلو وجوههم التراب وغبار الفقر
والاضطراب، وقد جاءه عقيل عدّة مرّات طالباً منه منّا من
القمح الموجود في بيت المال - يُحمي الحديد ويُدنيها من
بدن أخيه عقيل حتى يرتفع أنينه، فيقول له الإمام عليه
السلام: «تَكَلَّتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ! أَتَتِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا
إِنْسَانَهَا لِلْعَبِيهِ وَتَجْرُنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعَضْبِهِ؟!» أو
لما استعارت ابنته قلادةً من بيت المال، فانتهرها عليه

(١) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢١٦، في الخطبة رقم ٢٢٤ التي أولها: والله لأن أبيت على حسك
السعدان مُسَهِّدًا.

السلام بتلك الطريقة! وبعد رحيله عليه السلام عندما
اعتلى مولانا الإمام الحسن عليه السلام المنبر وقال: لقد
رحل أبي عن هذه الدنيا ولم يُخَلِّف شيئاً سوى أربعمائة
درهم كان يُريد أن يبتاع بها خادماً لأهله! ^(١)
نعم، هو ذاك الذي يقول:

«وَاللّٰهُ لَوْ أَعْطِيَتْ الْأَقَالِيْمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاجِهَا عَلَيَّ
أَنْ أَعْصِيَ اللّٰهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ! وَأَنَّ
دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا!» ^(٢)

(١) عثرت على هذه العبارة في النصّ الأصلي بهذا الشكل: عند الله نحتسب عزانا في أمير المؤمنين،
ولقد أصيب به الشرق والغرب، والله ما خلّف درهماً ولا ديناراً إلاّ أربعمائة درهم أراد أن يبتاع
لأهله خادماً. راجع نهج السعادة، ج ٧، ص ٥٠٧؛ نقلاً عن البرنامج الكمبيوتر "منهج النور".

————— المترجم —————

(٢) نهج البلاغة، شرح عبده، ج ٢، ص ٢١٨، الخطبة ٢٢٤.

وليس فقط أنه مستعدّ لمنح كل ما يقع تحت يده من أفلاك ولا يسلب نملةً جلب شعيرة، بل نراه يُقسم بالله أنه لو تعرّض إلى أقسى العقوبات، فإنّ ذلك أفضل لديه من أن يظلم أحداً:

«وَاللّٰهُ لَأَنْ أُبَيِّتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ!»^(١)

وكذلك الأمر في مقام الإيثار والإنفاق على المساكين، فإنهم يجعلون إيثاره وإنفاقه عليه السلام معياراً:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢). وفي مقام الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس، يتخذون من

(١) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢١٦، في الخطبة رقم ٢٢٤.

(٢) سورة الإنسان (٧٦)، الآية ٨.

جهاده عليه السلام ميزاناً. وفي مقام كظم الغيظ والحياة بدون هوى وهوس، يجعلون كظمه للغيظ وطهارته عليه السلام ميزاناً.

عندما^(١) توجه عليه السلام إلى البصرة من أجل صدّ أصحاب الجمل، نزل بالربذة وانهمك في خيمته بخصف نعله، فجاء الحجاج القادمين من مكة ليلتقوا به من أجل طرح بعض المسائل عليه، وبقوا خارج الخيمة ينتظرونه. دخل ابن عباس خيمته عليه السلام وقال له: يا علي! أقسم بالله إنّ الناس أحوج إليك من أن تبقى جالساً في الخيمة لكي تُعالج نعليك! لم يعتن أمير المؤمنين بكلامه إلى أن انتهى من خصف نعله، ثمّ وضع فردتا النعل إلى جانب

(١) منتهى الآمال، ص ١٠٩، نقلاً عن المفيد (ره).

بعضهما البعض وقال: «يا بن عباس! أخبرني ما قيمة هذه النعل؟» فقال ابن عباس: درهم أو نصف. فقال أمير المؤمنين: «أقسم بالله إن هذا الزوج من النعال لأفضل عندي من هذه الحكومة التي تدعونني إليها إلا أن أتمكن من أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً!»^(١)»^(٢)

وفي مقام الإيثار والتضحية بالنفس في سبيل الرسول الأكرم والدين، فإنهم سيجعلون ليلة المبيت ودفاعه عن

(١) إشارة إلى هذه الرواية: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذِي قَارٍ وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي: مَا قِيَمَةُ هَذِهِ النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيَمَةَ لَهَا. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَهَا أَهْبَابٌ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا، أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا. راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٨٥.. (المترجم)

(٢) في نهج البلاغة، في باب الحكم، طبع مصر، عبده، ج ٤، ص ٥٢، الحكمة ٢٣٦: قال عليه السلام: والله لديناكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم! وفي ج ١، ص ٣٧ يقول في ضمن كتابه إلى عثمان بن حنيف: ولألفيتم أن دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز!

مولانا رسول الله في غزوة أُحُد وسائر الغزوات معياراً
وميزاناً.

وبشكل عامّ، فإنّهم يجعلونه عليه السلام في جميع
الصفات والأفعال مقياساً، ويقيسون بأعماله أعمال الأُمَّة
والشيعة. فكلّما كان عمل الإنسان أقرب إلى عمله عليه
السلام، وكان مؤثّر ميزان العمل، أو ميزان الصلاة، أو
ميزان الجهاد، أو ميزان الزكاة، أو ميزان القرآن أو غيرها
أقرب إلى عمله، فإنّ ذلك العمل سيكون أثقل وأوزن. ولو
فرضنا أنّ شخصاً عمل عملاً خالصاً لوجه الله الكريم
مائة في المائة من جميع الجهات، فإنّ مؤثّر ميزان العمل
سيُطابق عمله عليه السلام، وفي هذه الحالة سيكون ذلك
الشخص قد صار فانياً في الولاية؛ فهنيئاً له. وإذا لم يمتلك

شخص ما أي عمل حسن، فإن المؤثر سيقع في ذلك الطرف الذي يكون مقابلاً. وأمّا الأشخاص الذين أدّوا أعمالاً لكنّها كانت مشوبة، فإنّهم سيكونون في الوسط كلّ بحسب درجة إخلاصه وعدم إخلاصه؛ ولذلك فإنّ لكل شخص في القيامة مقاماً ومنزلة خاصّة. كان هذا فيما يخصّ كونه عليه السلام هو الميزان.

كيف يمكن تأويل الصراط المستقيم بأمر المؤمنين عليه السلام؟

وأما المسألة الثانية، فتعلّق بمعنى الصراط، وكيف يكون عليه السلام هو الصراط المستقيم؟ فنقول في بيان هذه المسألة:

الصراط هو بمعنى الطريق والسبيل، ومن المعلوم بأنّ هذا الطريق يُؤدّي إلى الله، وبما أنّه ليس لله محلّ ومكان

خارجي، فإنَّ المراد منه هو الطريق النفسي- لمعرفة ذاته المقدَّسة جلَّ جلاله. فالإنسان يمتلك حالات روحية مختلفة من بداية عمره إلى آخر لحظة من حياته، كما يمتلك حركات نفسانية وملكات أخلاقية نشأت من تكرار أعماله وحالاته. فهو ينتقل باستمرار من صورة إلى صورة، ومن حالٍ إلى آخر، ومن عقيدة إلى أخرى، ومن كمالٍ إلى آخر، حتَّى يصبح من المقربين ويصير من السابقين. فإن أخذت العناية الإلهية بيده؛ صار من الكاملين، وإن كان من المتوسّطين، صار من أصحاب اليمين. أمّا لو قاده الشيطان والنفس الأمّارة؛ صار من الأشقياء وأصحاب الشمال.

على أن في نفس كل فرد من أفراد البشر- طريقاً باطنياً، بحيث تُعدّ جميع الأعمال التي يُؤدّيها في الظاهر خاضعةً

لخطته الباطنية تلك، ويدعى ذلك الطريق الباطني
بالصراط. وهذا الصراط لا يكون مستقيماً إلا إذا بلغ
بالسالك الجنة والرضوان ولقاء الله بأقصر مسافة وأقل
زمان ممكن؛ وهذا هو طريق الله والمعرفة الذي يُعتبر كل
واحد من الأئمة مبيّناً ومفصّلاً له، بل إن نفس الإمام هو
الصراط لأتباعه من أجل أن يسلكوا - من خلال نفسه -
نفس الطريق الذي سلكه وانتهجه. وبما أن نفس الإمام هي
أقرب طريق إلى الله تعالى، فإن الإمام هو الصراط
المستقيم، وهو صراط أدق من الشعرة وأحد من السيف
حقاً.

الصراط في يوم القيامة هو ظهور للطريق الذي سلكه الإنسان

رُوي عن الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الصُّورَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى كُلِّ
خَيْرٍ، وَالْجَسْرُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»^(١).

ولا يخفى أنّ الصراط هو ظهور وتجلّ في يوم القيامة
لنفس الطريق الذي سلكه الإنسان في الدنيا؛ لأنّ حقيقة
الدنيا تتمثّل في جهنّم، وصراط جهنّم هو الطريق الذي
يسلكه الإنسان في الدنيا تجاه الله تعالى؛ فالبعض يعرج
ويتعثّر عند عبوره هذا الصراط فيهوي في جهنّم، وأولئك
هم المغمورون في الشهوات، والمنغمسون في المادّيّات
واللذائد الدنيّة، بينما يعبر البعض جهنّم مثل البرق

(١) تفسير الصافي، ج ١، ص ٨٦.

الخاطف: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا *

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾^(١).

عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله صَلَّى الله عليه
وأله وسلّم قال:

«يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَأَوَّلُهُمْ كَلَمَعِ
الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِ الرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ^(٢) الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ،
ثُمَّ كَشَدِّ^(٣) الرَّجْلِ، ثُمَّ كَمَشِيهِ»^(٤).

وفي "تفسير^(٥) القمّي" عن الصادق عليه السلام:

(١) سورة مريم (١٩)، الآيتان ٧١ و٧٢.

(٢) حَضَرَ الْفَرَسُ: عدا عدواً شديداً.

(٣) شَدَّ الرَّجْلُ: عدا وركض.

(٤) تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٤٢.

(٥) يقول السيد الحميري:

سَمَاهُ جَبَّارُ السَّمَا صِرَاطَ حَقِّ فَسَمَى
فَقَالَ فِي الذِّكْرِ وَمَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى

أَلِهِنَّا

«الصِّراطُ أدقُّ مِنَ الشَّعْرِ وأحدُّ مِنَ السَّيْفِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ البرقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلَ عَدْوِ الفرسِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مَاشِياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ حَبَواً،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ مُتَعَلِّقاً فتأخذُ النارُ مِنْهُ شَيْئاً وتتركُ
شَيْئاً»^(١).

جهنم هي ظهور الدنيا وتجل لها

وباختصار فإن جهنم ظهور وتجل للدنيا، وكل من قدم
إلى الدنيا، يتحتم عليه الذهاب إلى جهنم؛ غاية الأمر أن
البعض يعبر كالبرق الخاطف نظير الأنبياء والأوصياء،

هَذَا صِرَاطِي فَاتَّبِعُوا وَعَنْهُمْ لَا تُحَدِّثُوا

فَخَالَفُوا مَا سَمِعُوا وَالْحُلْفُ مِمَّنْ شَرَعُوا

(ديوان السيد، ص ٦٤، نقلاً عن أعيان الشيعة، ج ١٣، ص ٢١٤؛ مناقب آل أبي طالب لابن

شهر آشوب، ج ٢، ص ٢٧٢).

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ٢٩.

والبعض كالريح العاصف، وبعضهم - وهم أصحاب
اليمن - كعدو الفرس، وبعضهم كشدّ الرجل، وهم الذين
يرتكبون المعاصي أحياناً ويتوبون أحياناً أخرى. وأمّا الذين
اتبوا الشهوات، فيقعون في جهنّم.

وعليه، يكون عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.
من خلال هذين النموذجين الذين ذكرناهما في تفسير
"الصراط" والميزان"، تكون جميع الآيات التي أوّلت بهم
أو بأعدائهم قد اتّضحت بشكل جليّ.

وعليه، لا بدّ أولاً من التأويل، وينبغي ثانياً أن تُحافظ
الآيات دائماً على عموميّتها وكليّتها لتشمل كلّ موضع فيه
شائبة من المعنى المؤوّل. ولهذا السبب، لم يصرّح بالاسم في
الآيات القرآنيّة.

أبيات من القصيدة الأزرية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

من خلال استعراضنا لهذه المسائل، صار جلياً كيف أنّ أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو حقيقة القرآن. ولكم أجاد الشيخ كاظم الأزرّي في إنشاده قصيدته الألفيّة، رضوان الله الملك المتعالى عليه (ديوان شرح القصيدة الأزرية، ص ١٥٠):

أَيُّهَا الرَّكِبُ الْمُجِدُّ رُوَيْدًا^(١)

بِقُلُوبٍ^(٢) تَقَلَّبَتْ فِي جَوَاهَا^(٣)

(١) أَرُوْدُ أَرُوْدًا وَمَرُوْدًا وَرُوَيْدًا فِي السَّيْرِ: رَفِيقٌ وَاتَّادٌ وَمَتَهَّلٌ، رُوَيْدٌ مُصَدَّرٌ أَرُوْدٌ مُصَغَّرًا تَصْغِيرَ التَّرْحِيمِ، يُقَالُ: رُوَيْدًا أَي مَهْلًا.

(٢) قَلْبٌ يَقْلِبُ قَلْبًا الشَّيْءُ: حَوَّلَهُ عَنْ وَجْهِهِ أَوْ حَالَتِهِ، جَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، جَعَلَ بَاطِنَهُ ظَاهِرَهُ؛ تَقَلَّبَ: تَحَوَّلَ عَنْ وَجْهِهِ؛ عَلَى فَرَاشِهِ: تَحَوَّلَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى آخَرَ.

(٣) حَوَى — حَوَى: أَصَابَتْهُ حَرَقَةٌ وَشِدَّةٌ وَجَدَّ مِنْ عَشَقٍ أَوْ حَزَنِ؛ حَوَى: شِدَّةُ الْوَجْهِ مِنْ حَزَنِ أَوْ عَشَقٍ.

إِنْ تَرَأْتِ أَرْضَ الْغَرِيِّنِ فَاخْلَعِ

وَاخْلَعِ النَّعْلَ دُونَ وَادِي طَواها^(١)

وَإِذَا شِمْتَ^(٢) قُبَّةَ الْعَالَمِ الْأَعْدِ

لِي وَأَنْوَارَ رَبِّهَا تَغْشَاهَا

فَتَوَاضِعَ فَتَمَّ دَارَةَ قُدْسِ

تَتَمَنَّى الْأَفلاكَ لَتَمَّ ثَرَاهَا

قُلْ لَهُ وَالْدُمُوعُ^(٣) سَفْحَ عَقِيْقِ

وَالْجَوَى تَصْطَلِي بِنَارِ غُضَاهَا^(٤)

(١) طُوًى وِطُوًى: الشَّيْءُ الْمُنْتَهَى؛ وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: وَطُوًى فِي الْقُرْآنِ هُوَ اسْمُ الْوَادِي سَمِّيَ بِهِ لِأَنَّ الْوَادِي قُدْسٌ مَرَّتَيْنِ فَكَانَتْهُ طُوًى بِالْبُرْكَاةِ مَرَّتَيْنِ.

(٢) شَامَ يَشِيمُ شَيْمًا الْبَرْقُ: نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَتَجَّهُ وَأَيْنَ يَمْطُرُ؛ يُقَالُ شَامَ مَخَائِلَ الشَّيْءِ: أَي تَطَّلَعَ نَحْوَهُ بِيَصْرِهِ مُنْتَظِرًا لَهُ.

(٣) سَفَحَ — سَفَحًا وَسَفُوحًا الدَّمُ أَوْ الدَّمْعُ: سَفَكَهُ وَأَرَاقَهُ.

(٤) الْعَضَا: شَجَرٌ مِنَ الْأَثَلِ حَشْبِهِ مِنْ أَصْلَبِ الْحَشَبِ وَجَمْرِهِ يَبْقَى زَمَنًا طَوِيلًا.

يَا بْنَ عَمِّ الْمُصْطَفَى أَنْتَ يَدُ اللَّهِ
الَّتِي عَمَّ كُلَّ شَيْءٍ نَدَاهَا
أَنْتَ قُرْءَانُهُ الْقَدِيمُ وَأَوْصَا
فَكَأَيَاتُهُ الَّتِي أَوْحَاهَا
حَسْبُكَ اللَّهُ فِي مَنَاطِرِ شَتَّى
هِيَ مِثْلُ الْأَعْدَادِ لَا تَتَنَاهَى
لَيْتَ عَيْنًا بَغَيْرِ رَوْضِكَ تَرَعَى
قَذِيتَ وَاسْتَمَرَّ فِيهَا قَذَاهَا
أَنْتَ بَعْدَ النَّبِيِّ خَيْرُ الْبَرَايَا
وَالسَّمَا خَيْرُ مَا بِهَا قَمَرَاهَا
لَكَ ذَاتُ كَذَاتِهِ حَيْثُ لَوْلَا
أَنَّهَا مِثْلُهَا لِمَاءِ أَخَاهَا

قَدْ تَرَضَعْتُمَا بِثَدْيِي وَصَالٍ
كَانَ مِنْ جَوْهَرِ التَّجَلِّيِ^(١) غِذَاهَا
يَا عَلِيُّ الْمِقْدَارَ حَسْبُكَ لَاهُو
تِيَّةٌ لَا يُحَاطُ فِي عُلْيَاهَا
أَيُّ قُدْسٍ إِلَيْهِ طَبَعَكَ يَنْمَى
وَالْمِرَاقِي الْمُقَدَّسَاتُ ارْتَقَاهَا
لَكَ نَفْسٌ مِنْ جَوْهَرِ اللَّطْفِ صِيغَتْ
جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ فِدَاهَا
هِيَ قُطْبُ الْمَكُونَاتِ وَلَوْلَا
هَا مَا دَارَتْ الرَّحَى لَوْلَاهَا

(١) الغذاء: ما يغتذى به من الطعام والشراب ج أغذية.

لَكَ كَفٌّ مِنْ أَبْحُرِ اللَّهِ تَجْرِي
أَنْهَرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ جَدْوَاهَا
حُزَّتْ مَلَكًا مِنَ الْمُعَالِي مُحِيطًا
بِأَقَالِيمَ يَسْتَحِيلُ انْتِهَاهَا
يَا أَخَا الْمُصْطَفَى لَدَيَّ ذُنُوبٌ
هِيَ عَيْنُ الْقَذَى وَأَنْتَ جَلَاهَا
كَيْفَ تَخْشَى الْعُصَاةَ بَلَوَى الْمُعَاصِي
وَبِكَ اللَّهُ مُنْقِذُ مُبْتَلَاهَا
لَكَ فِي مُرْتَقَى الْعُلَى وَالْمَعَالِي
دَرَجَاتٌ لَا يُرْتَقَى أَذْنَاهَا^(١)

(١) الأزرية في مدح النبي والوصي والآل صلوات الله عليهم، ص ٣٥.